الآليات الحجاجية في الخطاب الديني

(خطبة عمربن الخطاب "رضي الله عنه") أنموذجًا

الأستاذة: حليمة مسعي

جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، الجزائر

البريد الإلكتروني: halimamessai@yahoo.com

الاستلام	٢٠١٧/١/٢٢	المراجعة	٢٠١٧/٣/٢	النشر	٢٠١٧/٤/٣٠

الملخص:

اعتمدت خطبة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في مضمونها على الحجاج اللغوي والبلاغي والمنطقي بوصفهم آليات وتقنيات الحجاج المعتمدة,والتي نجدها في أكثر الخطابات,حيث يكتسي الحجاج أهميته وزخمه من الوظيفة التي يؤديها في الخطاب, والمقصد الذي يرمي إليه وقد أصبح من الموضوعات التي احتلت و حظيت مكانة مرموقة واهتماما واسعا في الدراسات العربية وذلك بالبحث في إشكالات وأطره ومنطلقاته لدى الدارسين الغربيين,حيث يقع الحجاج في صلب نظريات تحليل الخطاب, باعتبار الخطاب نسقا من العناصر الداخلية الصوتية والصرفية والتركيبية وحتى البلاغية والفنية والمنطقية,وكل هذه العناصر ارتأينا أن نستخرجها من خطبة عمر بن الخطاب والتعرف أيضا على الآليات الحجاجية التي تتضمنها هذه الخطبة,وكيف وظفها عمر بن الخطاب في خطبته الدينية؟ وما الغرض المنشود من إلقاء هذه الخطبة,والمقصد الذي يريد إيصاله إلى السامع؟

الكلمات المفتاحية: الحجاج-الخطبة الدينية-آليات الحجاج اللغوية-الآليات البلاغية-الآليات المنطقية.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Argumentative mechanisms in religious discourse Omar Ibn Al-Khattab Speech as a sample

Dr. Halima Messai

Al-Araby Al-Tebsy University, Tebessa, Algeria
Email: halimamessai@yahoo.com

Received	12/1/2017	Revised	2/3/2017	Published	30/4/2017

Résumé:

Omar plan bin adopté Khattab (qu'Allah soit satisfait de lui) dans le contenu des pèlerins linguistiques et rhétoriques et logiques que des techniques pèlerins mécanismes approuvés, qui peuvent être trouvés dans d'autres discours, où il est de pèlerins importance et la dynamique d'un emploi et des structures qui ont exécuté dans le discours, et de destination, qui vise à lui est devenu sujets qui ont occupé et jouissait d'un prestige et une grande attention dans les études arabes en regardant dans la problématique et les cadres et leurs perceptions des chercheurs occidentaux, où les pèlerins se trouve au cœur des théories de l'analyse du discours, compte tenu de la configuration de parole d'éléments intérieurs acoustiques et morphologiques et de composition et même rhétorique, artistiques et logiques, tous ces éléments, nous avons décidé que peu nous produisons ici sermon Omar bin al-Khattab reconnaissent également les mécanismes orbitaux contenus dans ce sermon, et comment employé par Omar bin al-Khattab dans le sermon religieux? L'objectif de lancer ce sermon, et de destination, qui veut livrer à l'auditeur ?

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

مقدمــة:

إن اللغة وسيلة التواصل المثلى, والحجاج يعد شكلا من أشكال هذا التواصل,لأنه يسعى فيه المتكلم إلى التأثير على السامع وإقناعه وجلب اهتمامه بأي شكل من الأشكال من خلال مجموعة من الآليات والتقنيات المعتمدة في حواراته وخطاباته وحديثه مع الطرف الآخر,فالنص الحجاجي يسعى دائما إلى الإقناع بتقديم البراهين والإثباتات والدلائل التي تجلب انتباهه وتترك أثرا في نفسية السامع ومتلقيه ولا شك أن الحجاج – مثله مثل أي عملية تواصلية – لا يمكن أن تتحدد طبيعته إلا في ضوء المعطيات التي يتضمنها السياق أو المقام,فالحجاج يقوم على أركان تخاطبية تتمثل في الملفوظ والمتكلم والمخاطب والمقام.

وبما أن الحجاج يحوي هذه العناصر وهذه الآليات والتقنيات اللسانية الهادفة إلى التأثير والإقناع واستمالة المخاطب,ارتأينا أن نطبق هذا الجانب الحجاجي على خطبة عمر بن الخطاب بكونه نصا تأثيريا هدفه إقناع السامع بعظمة الخالق ونعمه التي أنعم بها على خلقه ليستيقظوا من غفلتهم ونكرانهم لهذه النعم وشكرهم عليها فقط,فالخطاب الديني نص تأثيري إقناعي بالأدلة والأساليب اللغوية والبلاغية القويمة تترك في نفسية المتلقي أثرا قويا.ولقد اعتمدنا المنهج التداولي لكون الحجاج جانبا مهما من جوانب اللسانيات التداولية وقضية رئيسية بين القضايا الأخرى التي تقوم عليها التداولية.

<u>تأسيس المفاهيم:</u>

1)مفهوم الحجاج:

1-1) لغــة:الحجاج في اللغة-من حاججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها-والحُجَّة:ما دوفع به الخصم,والحجة البرهان, والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة[1],ونجده أيضا في المعجم الوسيط كما يلي:حاجَّهُ فحجَّهُ..... (حاجَّهُ) محاجَّةً وحجاجًا:جادله, و حاجَّهُ عارضه مستنكرا...(تحاجُّوا):تجادلوا[2] ونقول حجَّ مناظره:غلبه بالحجَّة والبرهان وحاجَّه :جادله,وتحاجًا:تخاصما,و(الحجُّة):البرهان[3]

إذن نفهم في هذه التعريفات اللغوية للفظة الحجاج أنها تشمل:على معاني:

الجدل الذي هو الخصومة والاعتراض بباطل, وقد يكون بمعنى الحجة أو الدليل,كما يعني إعطاء البرهان والدليل

2-1)اصطلاحا:

و الحجاج – في الاصطلاح- هو ما دلَّ به على صحة الدعوى[4] إذ أساس الحجاج الارتكاز على ما يثبت قضية من القضايا, ثم بناء موقف ما على ذلك .

وتقابل المعاجم الفرنسية كلمة (الحجاج) بلفظ (Argumentation) ويعني:فعل الحجاج أو فنه ويعني – كذلك – مجموعة من الحجج.التي تؤدي نفس النتيجة,ويذهب ديكرو وهو المعروف بتوجهه اللساني في النظرية الحجاجية الى "أن العملية الحجاجية تتلخص لغويا في أن يقدم المتكلم قولا أو مجموعة أقوال هي (ق1) يقود إلى (ق2) هو بمثابة النتيجة"[5]ما يعني آن الحجاج هو الإتيان بمجموعة من الحجج التي تساعدنا على تحديد وجهة النتيجة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

والحجاج في الموسوعة العالمية:"الطريقة التي تعرض بها الحجج",ومجموع الحجج التي تنشأ عن هذا العرض ليتكون لنا في النهاية نسق منظم من الحجج الموجهة والمستهدفة للمتلقي ويعرفه(مايير meye) قائلا:"الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"[6] حيث يقدم هذا المفهوم وجهة نظر"مايير"للخطاب الحجاجي,وهي انه يوجد في معنى الجملة الحرفي شارة/سمة حجاجية (marque argumentative) تؤدي إلى الظهور الضمني في ضوء ما يمليه المقام وتلوّح بنتيجة ما تكون مقنعة أو غير مقنعة[7].

ومن هنا يوظف "مايير"مفهومين أساسيين في عملية الحجاج هما:الضمني والمصرح به, فالمصرح به هو ظاهر اما ما هو ضمني فتلك الإمكانات المختلفة للإجابة عن السؤال الواحد ؟ والممثل له بالخطاطة التالية:

حجاج صريح ⟸ الحجَّة (وهو جواب مصرح به).

حجاج ضمني ⟸ سؤال (يكتشفه المتلقي بمعطيات مقامية)[8].

-الخطابة بين(مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح)

1-الخطابة في مدلول اللغة:

لفظ الخطابة واحد من الصيغ المصدرية الأربعة للفعل الثلاثي "خَطَبَ" وهذا الفعل- شأنه كسائر الأفعال – لا نملك معرفة مدلوله اللغوي إلاّ أن نرجع إلى قواميس اللغة,نستوضح ونسترشد بها فيها تشير إليه وتدور عليه مادة الفعل الثلاثي المذكور[9].

وفي هذا المجال نجد أصحاب قواميس اللغة العربية يقولون في مادة خطب "الخاء والطاء والباء"أصلان :احدهما بين اثنين يقال: خاطبه يُخاطبه خطابا[10], و(خَطَبَ)على المنبر(خُطبةً)بضمّ الخاء و (خطابةً)و(خطبَ)المرأة في النكاح[11].

وذكر أحمد مختار عمر في معجمه في مادة(خَطَبَ) {مفرد}:ج(خطوب)لغير المصدر:مصدر خطب, أمر عظيم أو يسير يكثر فيه الجدال والتخاطب"ألّمَّ به خطب جليل",خطوب الدَّهر/خطوب الزمن:نوازله[12] .أمَّا في معجم (المنجد في اللغة)فقد جاءت لفظة (خَطَبَ),خطبةً وخطباً وخطابةً:بمعنى وعظ ويقال :خطُب خطابة صار خطيباً والخطيب,ج(خطباء):من يقرأ الخطبة .والخطبة المرأة المخطوبة,وبعضهم يكسر الخاء[13] وجاء في قاموس المحيط : خطب الخاطب على المنبر خطابة ، بالفتح و خطبة بالضم ، وذلك الكلام خطبة بالضم ، وذلك الكلام خطبةً أيضا أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه ، والخطبة بالضم :لون كدر ، مُشربُ حُمرة في صفرة أو غُبرة ترهقها خُضرة[14] . والخطبانُ : الحنظل إذا اختلفت ألوانه ، و الأَخطبُ : الحمار تعلوهُ خُضرة ، وكلّ لون يشبه ذلك فهو أخطب[15].

ولنا أن نقرر- في ضوء ما نلقاه عن قواميس اللغة العربية- أنّ مادة الكلمة المكونة من الخاء والطاء والباء يدور استعمالها حول معان ثلاثة:

الأول:الكلام المنثور المخطوب به .

الثاني : إظهار الرغبة في النكاح

الثالث : ملكة البيان و فصاحة اللسان

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

سياقات اللغة والدراسات البينية
Contexts, Language and Interdisciplinary Studies
المجلد الثاني العدد الخامس ابريل 2017

2 -الخطابة في مفهوم الاصطلاح :

عرفت الخطابة تعاريف كثيرة لا تتباعد بعضها عن بعض كثيرا ولكن منها ما ليس جامعا لكل أنواع الخطابة وجزئياتها,ومنها ما ليس مانعا من دخول أشياء أخرى معها,وأوضح وأدق ما عرفت به الخطابة أنها هي:"فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشمل على الإقناع و الاستمالة", وهذا التعريف يقوم على عناصر معينة تتمثل في:

1. أن يكون الحديث مخاطبة موجهة لجمهور من الناس .
2. أن يكون بطريقة إلقائية جهرية، بمعنى أن يكون الصوت واضحا وتختلف نبراته من خلال الخطيب بالنظر إلى مضمون ونوع الخطبة الموجهة
3. أن يكون الحديث مقنعا مؤثّرا يشتمل على الأدلة و البراهين مثل القرآن والحديث النبوي الشريف .
4. أن تتوفر الخطبة على عنصر الاستمالة وذلك مراعاة لميولات السامعين وجلبهم وتوجيه عواطفهم[16].

وهي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلّم ، يقتدر بها على التصرف في فنون القول ، لمحاولة التأثير على السامعين بإقناعهم بالأدلّة والحجج وترغيبهم وتحبيبهم في الموضوع المراد إيصاله لهم ومن ثمّ مخاطبة وجدانهم وإثارة أحاسيسهم .

يقول ابن سينا* : **"إنّ الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر في أقسام المنطق لأنّ المقصود من أن يوصل إلى التصديق فإن وقع التصديق يقينا فهو البرهان وإن أوقع ظنّا أو محمولا على الصدق فهو الخطابة "**[17] . والمقصود من هذا القول أن المنطق هو مطلق الأمر يتطلب التصديق إذا كان هناك برهان ودليل ثابت وقطعي لاشك فيه والخطبة تحتمل الصدق و اليقين ، إذا اشتملت على ثوابت منطقية وعقلية وبراهين مؤكدّة تكون قريبة من الواقع تجعل السامع متأثرا لما يقوله الخطيب.

<u>في البحث والاستكشاف:</u>

<u>نص الخطبة:</u>

يقول **(عمر رضي الله عنه)** في نص خطبته:"إنَّ اللهَ سُبْحَانهُ وبحمدهِ قدْ استوجبَ عليكُمِ الشُّكرَ،واتخذ عليكمْ الحجَاجَ فيمَا أتَاكمْ منْ كرامةِ الآخرة والدُنيَا،منْ غيرِ مسألةٍ منكمْ لهُ،ولا رغبةٍ منكمْ فيهِ إليهِ،فخَلَقَكمْ تباركَ وتعالىَ ولمْ تكُونوُا شيئًا،لنفسِهِ وعبَادتِهِ،وكانَ قادرًا أنْ يَجعلْكمْ لأَهْوَنَ خَلْقهِ عليهِ ،فجعلَ لكمْ عامةَ خلقهِ،ولمْ يجعلكمْ لشيءٍ غيرهُ،وسخّرَ لكمْ مَا في السمَاواتِ وما في الأرضِ،وأسبغَ عليكمْ نعمهُ ظاهرةً وباطنةً،وحملكُمْ في البّرِ والبحرِ،ورزقكمْ منَ الطيّباتِ لعلّكمْ تشكرونْ،ثمَّ جعلَ لكمْ سمعًا وبصرًا،ومنْ نعمِ اللهِ عليكمْ نعمٌ عمَّ بهَا بني آدمَ،ومنهَا نعمٌ اختصَّ بها أهلُ دينكمْ،ثمّ صارتْ تلكَ النعمَ خواصُّهَا وعوامُّهَا في دولتِكمْ وزمانِكمْ وطبقتِكمْ،وليسَ منْ تلكَ النِعمِ نعمةٌ وصلتْ إلى امرئ خاصة إلاّ قُسِم ما وصل إليه منها بين الناسِ كلّهم ،أتبَعَهُمْ شكرُهَا،وقدْحَهُمْ حقَّهَا،إلاّ بعونِ اللهِ مع الإيمانِ باللهِ ورسولهِ،فأنتم مستخلفونَ في الأرضِ،قاهرونَ لأهلِهَا،قدْ نصرَ اللهُ دينكمْ،فلم تصبحْ أمّةٌ مخالفةٌ لدينكُمْ إلاّ أمتّان،أمّةٌ مستعبدةٌ للإسلامِ وأهلهِ يتْجَرُون لكم،تَسْتَصِفُونَ[18] معايشهم وكدَائِحَهُمْ و رشحَ جبَاهِهِمْ،عليهم المُئُونَةُ،ولكمْ المنفعةُ،وأمّةٌ تنتظرُ وقائعَ اللهِ وسَطواتِهِ في كلّ يومٍ وليلةٍ،قدْ ملأَ اللهُ قلوبهُمْ رعبًا،فليس لهم معْقِلٌ يلجِئُونَ إليه ،ولا مهربٌ يتَّقُونَ به ،قد دهِمْتُمْ جنودَ

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

اللهِ عزّ وجلّ،ونزلت بساحتهم مع رفَاغَةِ[19] العيش،واسْتِفَاضَةِ المال،وتتابع البعوث،وسدِّ الثغور بإذن الله في العافية الجليلة العامة،التي لم تكن هذه الأمَّةُ على أحسنِ منها مُذْ كان الإسلامُ،والله المحمود مع الفتوحِ العظامِ في كلّ بلدٍ،فما عسَى أنْ يبلغَ مع هذا شكرَ الشّاكرينَ،وذّكر الذاكرينَ،واجتهاد المجتهدينَ، مع هذه النعمِ التي لا يحصى عددُهَا،ولا يقدَّرُ قدرهَا، ولا يُستطاعُ أدَاءَ حقِّهَا، إلاّ بعونِ اللهِ ورحمتهِ ولطفهِ، فنسألُ اللهَ الذّي لا إلهَ إلاّ هو،الذّي بلانَا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته،والمسارعة إلى مرضاته، فاذكروا عبادَ الله بلاءَ الله عندكم واسْتَتِمُوا نعمةَ اللهِ عليكمْ، وفي مجَالسِكمْ مثْنَى وفُرادَى فإنّ الله عزّ وجلّ قال لموسى:"**أخرجْ قَومكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُورِ،وذّكِرهمْ بأيّامِ اللهِ**"،وقال لمحمد صلى الله عليه وسلّم:"**واذكرُوا إذْ أنتمْ قَليلٌ مُستضْعَفُونَ في الأرْضِ**" فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبةٍ من الحقِّ تؤمنونَ بها،وتستريحُون إليها،مع المعرفة بالله،ودينه،وترجون لها الخير فيها بعد الموت،لكان ذلك،ولكنّكم كنتم أشّد الناس معيشة وأظلَم الناسِ بالله جهالةً،فلو كان هذا الذّي ابتلاكمْ به،لم يكن معه حظٌّ في دنياكمْ،غير أنّه ثقة لكم،في آخرتكم،التي إليها المعادُ والمنقلبُ،وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه، كنتم أحياءَ أن تشّحُوا على نصيبِكمْ منه،وأن تظهروه على غيره،فَبَلْهَ[20] ما أنّه قد جمع لكم فضيلة الدنيا،وكرامة الآخرة،أو لمن شاء أن يجمع له ذلك منكم،فأذّكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم،إلاّ ما عرفتم حق الله فعملتم به، وقسّرتم أنفسكم على طاعته،وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لزوالها ولانتقالها، ووجلا لتحويلها،فإنّه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها،وإنّ الشكر أمن للغير، ونماء للنعمة، واستجلاب للزيادة، وهذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجبٌ" [21] (تاريخ الطبري5: 27 وشرح ابن أبي الحديد م3 ص125) .

المستوى الأول:في بنية الحجاج اللغوية:

إن الدراسات اللغوية تشمل الصوتي والصرفي والتركيبي والدلالات التي تجمع الدوال لمدلولاتها[22].وبتحليلنا للبنية اللغوية الاستدلالية نرصد أفعالا كلامية تؤدي وظيفةً حجاجية ودلالية,كما يقول (ديكرو ducrot) أنّ كثير من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية توجه المتلقي إلى نتيجة محددة أو تصرفه عنها,وبالتالي نستطيع القول إن الجملة الواحدة تنطوي تحت طياتها العديد من الدلالات المختلفة تبعا للسياق الواردة فيه,بخلاف المحتوى الإخباري الذي تدلي به إلا أنها تعطي العديد من التوجيهات الأخرى للملفوظ نفسه,ومن أمثلة هذه الملفوظات التي تؤدي وظيفة حجاجية في نص الخطبة نجد:(خلق-جعل) (معقل-مهرب) (أشد-أعظم) (المعاد-المنقلب) (زوالها,انتقالها-تحويلها) ونحو هذه الأفعال,كما أن هناك صيغا لغوية تحمل في معانيها استدلالات تعمق فكرة السياق ومقاصده كما في الآتي:

(جعل- خلق):

نجد بين فعلي (جعل) و(خلق) فوارق دلالية دقيقة ومضبوطة في نص الخطبة:"**فَخَلَقَكُمِ تَبَارَكَ وَتَعالَى ولمْ تَكُونُوا شَيْئًا لِنفسِهِ وعبَادتِهِ ,وكَانَ قادرًا أنَّ يَجْعَلَكُمْ لأَهْوَنَ خلقه عليه فجعلَ لكمْ عامةَ خلقهِ**" إذ نجد الفعل"خلق"يدل على إيجاد للماهية من عدم (كالإنسان أو الحيوان) في هذا السياق, فلقد ذكر في هذا السياق أن الإنسان لم يكن شيئا أي لم يكن له وجود في الأصل لولا خلق الله له وإنشائه أحسن إنشاء وتصويره على أكمل وجه أما الفعل "جعل"فهو يفيد التصيير والتحويل في كينونة الشيء وتطور حالاته أي كان في حالة ما وتحول وصار إلى حالة أخرى بفضل الله عزّ وجل وهذا الفعل ودلالاته مناسب لطبيعة الأرض وحقيقة تكوينها,ويقول أيضا في نص الخطبة **"وجعل لكم السمع**

والبصر"أي أعطى لكم نعما تنعمون بها في الدنيا فحاستا السمع والبصر من النعم الجليلة والعظيمة التي جعلها الله للإنسان لعبادة الله وحده وليسمع ما خلق الله وليبصر ويتأمل في خلقه وكونه المبدع.

-(المعادُ-المنقلبْ):

إنّ القارئ لهذين اللفظتين سوف تظهر له أنّ لهما نفس الدلالة،ولكن في الأصل فهما مختلفتين في الدلالة،فقد وردت في نص الخطبة " **فلو كان هذا الذّي ابتلاكم به لم يكن معه حظٌّ في دنياكم،غير أنّه ثقة لكم في آخرتكم ، التي إليها المعادُ والمنقلبْ** " فلفظة **"المَعَادُ"** هنا تدل على العودة والرجوع إلى الأصل وإلى المكان الذي مآله إليه لا شك فيها ، فالمقصود بالمعادُ هنا **"الحياة"الآخرة"** لأنها هي المرجع والمصيرُ ، يقول الله تعالى في محكم تنزيلهِ« **إنَّ الذّي فرضَ عليكَ القرآنَ لرادُّكَ إلى مَعَادٍ** » [23] لأن الآخرة هي الدار وهي المستقر والجوهرُ ، فلا مهرب ولا مفر منها

أمّا ما دلت عليه لفظت "المنقلب" هو التحول والتغيير من حال إلى حال ، لأن كلّ إنسان يصير إلى منقلبه أي إلى محله وأصله الذي كان عليه ،يقول عزّ وجل في محكم تنزيله«**وسيعلَمُ الذّينَ ظلَمُوا أيّ مُنقَلَبٍ ينْقلِبُونْ** » [24]

والمقصود من منقلب الانقلاب والتحول الذّي سيؤولون إليه ، ويقال إنسان منقلب : أي متغيّر لا يشب على حاله .

ولعلّ هناك دلالات قريبة بين اللفظتين **"المعادُ والانقلاب"** ألا وهي التغير والتحوّل والرجوع إلى الأصل ولكن يختلفان من حيث الدلالة حسب السياق الوارد فيه كلا اللفظتين .

-(أشدّ – أعظم) :

لعلّ متمعن النظر والسمع في هاتين المفردتين تجد فيهما اختلاف وفوارق دلالية مضبوطة حيث أنّ الفعل (أشد) له دلالة في السياق وخاصة في نص الخطبة يخالف لفظة الفعل (أعظم) ذلك أنّ الدلالة الواردة في النص **"ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة ، وأعظم الناس بالله جهالة "** توحي على أنهم كانوا أحسن الناس معيشة وسعادة وأفضلهم هناءً ورخاء في العيش ، وعلى الرغم من ذلك فهم من أكثر الناس جهالة بمعرفة الله ، ودلالة العظمة هنا دلالة سلبية ، لأن المعتاد عليه في لفظة العظمة دلالتها على المكانة المرموقة وعلى الرفعة والشموخ والعلم بالله ونعمه وخيراته على عباده أن خلق وجعل لهم كل شيء في الأرض ولكنهم بالرغم من كل ذلك ومن حسن معيشتهم وزهدهم في الحياة الدنيا إلاّ أنهم أكثر الناس و أعظمهم جهلا بالله و ابتعادهم عنه وعدم الإقرار بنعمه عليهم .

-(زوالها – انتقالها – تحويلها):

ورد في نص الخطبة "**وجمعتهم مع السرور بالنعم خوفا لزوالها ولانتقالها ووجلا من تحويلها ، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها"** .فالألفاظ الثلاثة الواردة في النص السابق لها دلالات مختلف متضمنة في السياق الوارد في حديث عمر بن الخطاب وحث الناس على شكر الله تعالى على نعمه وفضائله علينا وأن لا ننسى عبادته وحمده على ما وهبنا إياه من النعم الكثيرة في هذه الدنيا حيث أنه على الإنسان أن يسّر بالنعم ويرضى بها ويحمد الله حمدا كثيرا عليها لكي لا تزول ولا تختفي ولكي لا تنتقل هذه النعم الكثيرة التي تحوّل حياة المرء إلى عيشة هنيئة سعيدة مطمئنة والعكس صحيح . فدلالة الألفاظ الثلاث السابقة تختلف باختلاف معانيها داخل السياق والملابسات التي تدور حولها تلك اللفظة فدلالة **"كلمة**

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

زوالها" تدل على ذهاب الشيء وعدم رجوعه إلى الأبد ، فلفظة زوال تختلف معانيها فقد تدل على التحول والانتقال وغير ذلك . ونفهم معنى اللفظة من خلال السياق الواردة فيه ولكن كلمة "زوالها" هنا تدل على ذهاب ونزوح وابتعاد النعم وعدم رجوعها إلى صاحبها.

أما لفظة "انتقالها" فهي تعني انتقال الشيء من نعم إلى نقم أي من حال أفضل إلى حال أسوء ، وكما هو الحال عند لفظة "تحويلها" فهي تعني تبديلها وتغيرها وتصييرها لأن تصبح هذه النعمة إلى نقمة وقد تكون هذه الدلالة أقرب مفهوما من لفظة الانتقال لأن كلاهما تعني التصيير والتغيير وذلك حسب المقام الواردة فيه كلا اللفظتين .

ولعل هناك ألفاظ أخرى قريبة الدلالة مثل **(مهرب ومعقل)** وبالرغم من إختلاف اللفظتين إلا أن الدلالة نفسها ألا وهي الملجأ والمستقر والمكان الذي يلجأ إليه الإنسان في حالة الهروب .

2- الأدوات اللغويــة :

2-1 التكرار:

التكرار أو التكرير من أبرز أساليب الحجاج اللغوية إذا يعتمد المرسل لإثبات دعواه أو قضيته ، وللتكرار وظائف خطابية عدّة عبّر عليها بالإفهام و الإفصاح و الكشف وتوليد الكلام و التشييد من أمره ، وتقريره المعنى وإثباته.

فقد صنف "ابن الأثير" التكرار إلى :

-التكرير في اللفظ وفي المعنى

-التكرير في المعنى دون اللفظ [25]

-ومن أمثلة التكرار في نص الخطبة نجد:

الضمير المتصل في الأفعال وفي الأسماء "كم" الظاهر في النص "إنّ الله سبحانه بحمده قد استوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا من غير مسألة منكم له ، ولا رغبة منكم فيه إليه ، فخلقكم تبارك و تعالى ..... وكان قادرًا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ، فجعل لكم عامة خلقه ، ولم يجعلكم لشيء غيره وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض،و أسبغ عليكم نعمه...وحملكم في البّر والبحر،ورزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون،ثمّ جعل لكم سمعا وبصرا...ومن نعم الله عليكم.....ومنها نعم اختصّ بها أهل دينكم... دولتكم وزمانكم و طبقتكم ،.... وغيرها من الأسماء والأفعال التي يتصل بها الضمير **"كم"** وهو ضمير يعود على الخلق والبشرية جمعاء وذلك من أجل تذكيرهم بنعم الله عليهم، أن جعل لهم من نعمه وخيراته في الدنيا كما أنه فضلهم على الكثير من خلقه حيث ميّزهم بالعقل و الفكر لكي يتدبرّون في خلقه وإبداعه في كونه وإن ينبههم لشكره وحمده والثناء عليه عزّ وجلّ لما قدمه لهم من نعم جمّة لا تعد ولا تحصى وهو ناكر لها ، وهذه النعم منها الظاهرة ومنها الباطنة . ورزقهم ومن الطيّبات ممّا يحبون ويشتهون كما جعل لهم السمع والبصر وهي أحسن النعم لأن السمع نعمة يفقدها الكثير من البشر كما هو الحال للبصر والتأمل في خلقه وفيما أنعمه عليه الله وقد أرشدهم **"عمر"** في نص الخطبة إلى الذكر والاستغفار والخضوع لله عزّ وجلّ،ولأمره وحمده على النعم جهرا وسّرا.

-تكرار لفظة" النعم" :

من المعلوم أنّ الله عزّ وجلّ أسبغ علينا نعما كثيرة،ولم يزل يسبغ على عباده النعم الكثيرة،وهو المستحق لأن يُشكر على جميع النعم،لأنّه إذا شكرت النعم اتّسعت وعظم الانتفاع بها، ومتى كفرت النعم زالت وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة،ولذلك كرّر عمر بن الخطاب في خطبة لفظة "النعم" للتذكير بها وشكره عليها وعبادته حق عبادة والعمل للآخرة أحسن عمل لأنّ جزاء العمل في الدنيا للآخرة جنات ونعيم،ولقد ذكر الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله الكثير من الآيات التي وردت فيها لفظة النعم فيقول عزّ وجلّ:"**وإنْ تَعُدُّوا نعْمَةَ الله لا تُحْصوها إنَّ الله لَغَفُورٌ رحيمٌ**"[26]

-تكرار الفعل"جعل":

إنّ القارئ لهذه الخطبة والمستمع لها يلفت انتباهه تكرار لفظة "**جعل**"،و"**يجعل**"،و"**يجعلكم**"،"**وجعل لكم**" فهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدّل على التذكير بالنعم التي أنعم الله بها على عباده حيث جعلهم عامة خلقه،وجعل لهم السمع والبصر،فالفعل جعل يدّل على التصيير والتحويل من حالة إلى حالة و من مرتبة إلى مرتبة،حيث يذكر في نص الخطبة:"أنّه خلقهم تبارك وتعالى ولم يكونوا شيئا لنفسه وعبادته،فجعلهم عامة خلقه وهذا دلالة على التفصيل وحبّه لهم.

حيث أنّه دلالة الفعل الماضي"**جعل**" توحي على الماضي الحال والاستقبال، وقد اتفق النحّاة على قيام الفعل الماضي مقام المضارع للدلالة على الاستقبال،فدلالة الفعل الماضي قد تتحوّل للدلالة على زمن الحال أيضا لأنّ الحال التي عليها المؤمنون في عهد عمر بن الخطاب:أنّ الله أنزل عليهم النعم والخيرات وهو يذكرهم بشكر الله وثنائه عليها.

-تكرار لفظة "الشكر":

شكر النعمة من أجلِّ وأطيبِ الصفات التي يجب أن يتصف بها المسلم والشكر هو المجازاة على الإحسان والثناء الجميل على من يقدّم الخير والإحسان،ويتحقق شكر الله بالإعتراف بالنعم واستخدامها في طاعة الله، فالشكر غاية و لأهله أحسن الجزاء حيث يقول عزّ وجلّ:"**واشكرُوا الله إنْ كُنتُم إيَّاه تَعْبُدونْ**[27]وهذا مراد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في نص خطبته حيث يكرّر لفظة الشكر،لأنّ الله يحبّ الشاكرين ووعدهم بأحسن الجزاء وجعله سببا لمزيد من العطاء وحارسا وحافظا لنعمته.

-تكرار لفظة"الذكر":

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال:قال رسول الله(ص):يقول عزّ وجلّ:"**أنا عند ظنّ عبدِي وأنا معهُ إذا ذكرني،فإنْ ذكرَني في نفسِهِ ذكرتُهُ في نفسِي،وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئِه،وإن تقرّبَ إليَّ شبرًا،تقربْتُ إليهِ ذراعًا،وإن تقرّبَ إليَّ ذراعًا،تقربت إليه باعًا،وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً**" والمقصود من هذا الحديث التعوّد على ذكر الله والتقرب منه سرًّا وعلانية،وهذا هو مراد "**عمر**" من تكرار لفظة "**الذكر**" حيث يقول:**وذكر الذاكرين...فاذكروا عباد الله...واذكروا إذ انتم قليل مستضعفون في الأرض...وقال عزّوجلّ لموسى:وذكّرهم بأيّام الله**". فدلالة "الذكر" هنا ذكر الله في كلّ وقت بالأذكار والاستغفار وشكره وحمده وعبادته.

-تكرار لفظة الجلالة"الله":

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

وردت في نص الخطبة لفظة **"الله"** عدة مرات حيث يقول عمر في خطبته:"إنّ **الله** سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ....ومن نعم **الله** عليكم....قد نصر **الله** دينكم....و**الله** المحمود مع الفتوح العظام في كلّ بلد...فنسأل **الله** الذّي لا إله إلا هو....فاذكروا عباد **الله**، واستتموا نعمة **الله** عليكم..." وهو تكرار يفيد حثّ المتلقي على استحضار خشية وحمده وثنائه وشكره على نعمه وعلى أنّه هو القادر والرزّاق والخالق له الأسماء الحسنى.

3-الأفعال الكلامية:

كلّ فعل يحدث في الواقع ويعبّر عنه بلفظ في اللغة تسّمى هذه الأفعال بأفعال كلامية، وتنقسم حسب وظيفتها في الكلام.

3-1-فعلا الأمر والنهي:

اهتم الدارسون بالفعل وعلاقته في إطار الحجاج اللغوي إيمانا منهم بأنّ اللغة كما يقول بيرلمان:"ليست وسيلة تواصل فحسب بل إنّها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع "[28] وما استعمل منها في هذه الخطبة منها الأفعال الإخبارية والأفعال الإنجازية نذكر:

-ومن الأفعال الإنجازية منها:

1- **فعل الأمر:** يدخل الأمر في البلاغة العربية ضمن أساليب الإنشاء الطلبي، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والأمر في الخطبة طلب لأمر شرعي،وحكم لا يقبل المناقشة.

وللأمر وجهتان في التعبير البلاغي:حقيقي ومجازي،الأمر الحقيقي صيغته موضوعه لطلب الفعل استعلاما لتبادر الذهن سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة.[29] أمّا صيغة الأمر المجازي – فكما قال القزويني- قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام،كالإباحة،التهديد،التعجيز،والتسخير ومثال قول عمر بن الخطاب :"**فاذكروا** عباد الله بلاء الله عندكم" "**استَتِمُوا** نعمة الله عليكم" .ويعتبر فعل الأمر حجة تخدم نتيجة ضمنية(الشكر يديم النعم،ويزيد في العمر) وقد اكتسبت هذه الأفعال قوة الحجة الخاضعة في تنفيذ ما أمر به المسلمون في حياتهم المعيشية.

-الروابط الحجاجية:

أ)الرابط الحجاجي(لكن): وهو من الأدوات التي حدّدها النحويون العرب لنفي كلام وإثبات غيره وهو"حرف استدراك"ومعنى الاستدراك أن تنسب حكمًا لاسمها يخالف المحكوم عليها قبلها، ولا تقع "لكن" إلاّ بين متنافيين بوجه ما"[30].

ومن هذا المنطلق فإنّ هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين،وهو من الناحية الحجاجية ربط حجاجي تدّاولي بين المعطى والنتيجة،ويشير الوصف الحجاجي الذّي يقدّمه أصحاب النظرية الحجاجيّة للأداة(لكن) إلى أنّ التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين اثنين:

1-إنّ المتكلّم يقدّم(أ) و(ب) بوصفهما حجتين،الحجة الأولى موّجهة نحو نتيجة معيّنة(ن) والحجة الثانية موّجهة نحو النتيجة المضادة لها أي(لا-ن).

2-إنّ المتكلّم يقدّم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبأنّها توّجه القول أو الخطاب برمته.[31]

فلو أخذنا مثالا لقول عمر بن الخطاب يقول:"قال الله لمحمّد صلى الله عليه وسلّم:"واذكروا إذْ أنتم قليل مستضعفون في الأرض،فلو كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها،مع المعرفة بالله ودينه،وترجون بها الخير فيما بعد الموت،لكان ذلك،ولكنكم كنتم أشدّ الناس معيشة،وأعظم الناس بالله جهالة فلو كان هذا الذّي ابتلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم،غير أنّه ثقة لكم في آخرتكم،التي إليها المعاد والمنقلب.

نجد هنا تعارضا حجاجيا والمتمثل في:حديث عمر عن الفئة القليلة التي ناصرت رسول الله(صلى الله عليه وسلّم) ووقفت معه حيث كانوا قلّة مستضعفين في الأرض واضعين الدنيا وراء ظهورهم محرومين من خيرها فجزاهم الله بالآخرة يتنعمّون فيها ولكنكم أنتم الآن –يقصد بها فئة عمر في خطابه لهم- الذين بسط الله لكم الدنيا بكلّ خيراتها وأعطاكم ما تحبّون إلاّ أنّكم أعظم الناس جهالة بالله والآخرة فلو أنكم ابتلاكم كما ابتليت هذه الفئة لضللتم ولاهتديتم ولكنكم مازلتم جاهلين بعلمه بعيدين عنه غير شاكرين له.

ومن ثمّ نلاحظ أنّ الرابط الحجاجي(لكنّ) قد عمل تعارضا حجاجيا بين ما تقدّمه وما تأخّر عنه،فالقسم الأوّل الذي يسبق الرابط قد تضمّن حجة تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (جزاء الشاكرين والصابرين النعيم في الآخرة)أمّا القسم الثاني الذّي جاء بعد الرابط فقد تضمّن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة (لا- ن) أي تخدم نتيجة من نمط : (جزاءُ الغافلين عن ذكر الله وشكره وعدم الإقرار بنعمه العقابُ في الآخرة وزوالُ النعم في الدنيا) ويمكن توضيح هذا الأمر من خلال الترسيمة البيانية الآتية:

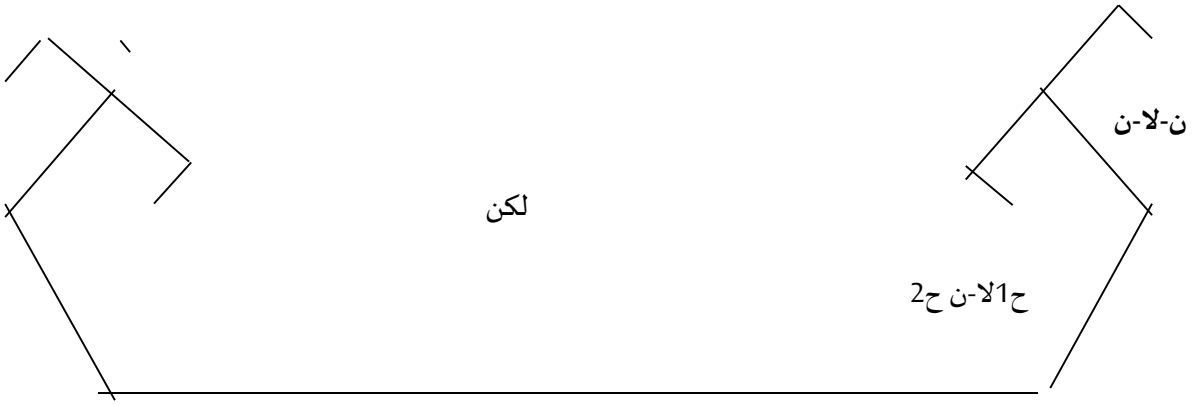

روابط العطف الحجاجي:

بالإضافة إلى ماذكرناه من روابط حجاجية تظهر هناك مجموعة من الحروف تضطلع ببعد حجاجيهم من خلال ربطهما بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير ومن هذه الروابط :

أحرف العطف (الواو والفاء وثمّ)إذ تقوم بدور حجاجي ووصفها سلّمًا حجاجيا يُخضع الحجج إلى تراتبية معيّنة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

-الرابط الحجاجي(الواو):

يشير هذا الرابط إلى وظيفة الجميع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجيا بوصفه رابطا عاطفيا يعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض،ومن الشواهد على ذلك قول عمر بن الخطاب(رضي الله عنه):"إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر ،واتخذّ عليكم الحجج،...وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ،...ولم يجعلكم لشيء غيره،وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض،وأسبغ عليكم نعمه ...وحملكم في البّر والبحر، ورزقكم من الطيّبات...."

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج،وعمل أيضا على تعداد نعم الله على عباده.

ونجد أيضا قول عمر:"فأذّكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم،إلاّ ما عرفتم حق الله فعملتم له،وقسرتم أنفسكم على طاعته،وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لزوالها ولانتقالها،ووجلا من تحويلها،فإنّه لاشيء أسلب للنعمة من كفرانها،وإنّ الشكر أمن للغير،ونماء للنعمة،واستجلاب للزيادة،وهذا لله عليّ من أمركم ونهيكم واجب"

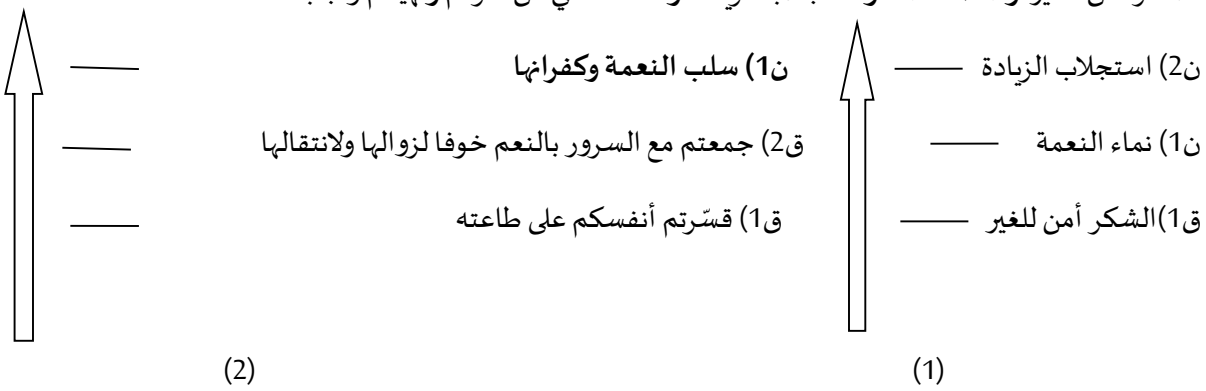

الرابط الحجاجي(الفاء):

من حروف العطف التي تضطلع بوظيفة حجاجيّة، إذ يربط بين النتيجة والحجّة من أجل التعليل والتفسير فهي أداة ربط استنتاجية في الخطاب الحجاجي التدّاولي،ومن أمثلتها ورودها في خطاب "عمر":"وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه...فأذكركم الله الحائلَ بينكم وبين قلوبكم" نلاحظ أنّ الفاء قد ربطت بين الحجة وهي التقصير مع الله بالرغم من نعمه عليكم في الدنيا وكرامة الآخرة إلاّ أنّكم تغفلون عنها والنتيجة أذكركم الله الحائل بينكم وبين قلوبكم لكي تشكروه وتحمدوا الله على نعمه.ومثال آخر:"إلاّ ما عرفتم حقّ الله فعملتم له" المقصود إن عرفتم حق الله عليكم سوف تعملون له وتثنون عليه وترجعون إليه يعني الرابط (الفاء) هنا قد ربطت بين الحجّة والنتيجة.

مثال آخر:"وقسّرتم أنفسكم على طاعته....فإنّه لاشيء أسلب للنعمة من كفرانها" يعني هنا حجة ونتيجة،فالحجّة هي التقصير في طاعة الله ونكران للنعم

وحبّ النعمة خوفا من زوالها وانتقالها وليس حبّا في الله ⟸ زوال النعمة وسلبها منهم.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الرابط الحجاجي(ثُمّ):

هي أيضا من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج ومن أمثلتها قول عمر:"ورزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون،ثمّ جعل لكم السمع والبصر....ثمّ صارت تلك النعم.." وهنا تعداد وتذكير بنعم الله المتتالية على عباده.

المستوى الثاني :الآليات البلاغيـــة:

هذه الخطبة بما أنها خطابية إقناعية تناولت موضوع التذكير والإرشاد وشكر النعم والخيرات والأرزاق التي أنعم الله بها على عباده،تنصّب كلّها في مجال إسلامي وخطاب مباشر لا تعتريه الغموض والاستعارات ولكن هو خطّاب موجّه قصد إلقاء بعض التوجيهات والنصائح والتذكير بخير الله على عباده.

ولهذا لا مجال لاستعمال المحسّنات البديعية وتوظيف الصوّر البلاغية لتقريب الفكرة والتأثير في السامع باستنهاض فكره وإيقاظه من غفلته ونكرانه.

1-تقسيم الكّل إلى أجزائه (التفريع):

التفريع أو تقسيم الكّل إلى أجزائه وهو أن يذكر المرسل حجّته كلّيا في أوّل الأمر،ثمّ يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها إن كانت ذات أجزاء ،وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه [32] ومن أمثلته في خطبته (رضي الله عنه) قوله:" إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر،واتخذّ عليكم الحجاج فيما أتاكم من كرامة الآخرة والدنيا،من غير مسألة منكم له،ولا رغبة منكم فيه إليه،فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا،لنفسه وعبادته،وكان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه ،فجعل لكم عامة خلقه،ولم يجعلكم لشيء غيره،وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البّر والبحر،ورزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون،ثمّ جعل لكم سمعا وبصرا".

أي أنّ الله آتاكم من خير الدنيا والآخرة دون حساب ولا مسألة منكم،فأنعم عليكم بأن خلقكم وجعلكم عامة خلقه وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض،وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البّر والبحر،ورزقكم من الطيّبات وجعل لكم السمع والبصر" أي أنّ كلّ هذه النعم مقسمة إلى أجزاء.

2-البديع:

لايقف دور الأشكال اللغوية على زخرفة الخطاب فقط،وإنّما بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد"فأساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع،وإنّما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ"[33]

3- الطباق:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

المطابقة في الكلام:أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه المطابقة عند جميع الناس:جمعك بين الضدّين في الكلام أو بيت الشعر.[34] ومن أمثلتها في الخطبة نجدها واضحة وجليّة:(الدنيا ، الآخرة)(الظلمات، النور) (خواصها ، عوامّها)(البّر ، البحر)(ظاهرة، باطنة).

4- السجع: وهو توافق فواصل الجمل في الحرف الأخير ونجد ذلك واضح وجلّي في نص الخطبة حيث يقول:"فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين،وذكر الذاكرين،,اجتهاد المجتهدين" "مع هذه النعم التي لا يحصى عددها،ولا يقدّر قدرها ولا يستطاع أداء حقّها" "أن يرزقنا العمل بطاعته،والمسارعة إلى مرضاته" .

ومن خلال هذه الأمثلة نستنتج أنّ الحجاج لا مفّر له من البلاغة، ولا سبيل إلى الإقناع دون الإثارة،فكّل هذه الآليات ساعدت في تأسيس الحجاج وأدّت إلى الإقناع في خطبة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه).

المستوى الثالث:الآليات المنطقية:

نجد أنّ الحجاج العقلي أخذ بحقائق الموجودات العينية ليستدّل بها على الحقائق الغيبية،كما نبيّن في تفصيل لاحق،وهنا نبرز بنية العرض لهذه الدلائل ودقتها،والحقائق وآليات عرضها،في سلّمٍ تراتبي دالٍ دقيق.

السلّم الحجاجي:

عندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينّة،فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى السلّم الحجاجي فالسلّم الحجاجي بنية متنامية لمراتب الحجج،وبالضرورة لابّد من أن يتسّم بسمتين:

الأولى :كلّ دليل يرد في درجة من السلّم الحجاجي،يكون الدليل الذّي يعلوه أقوى منه،والأخرى:إذا كان الملفوظ"ب" يؤدي إلى النتيجة"ن"فهذا يستلزم أنّ"ج"و"د" الذّي يعلوه درجة يؤدّي إليها ومن ثمّ يعمد السلّم الحجاجي إلى معطيات مراتب تكوينية لغوية وواقعية تعمّق فكرته[35]،وتفصّل حقائقها وتقّوي تماسك عناصرها التكوينية لغويا وواقعيا،ويمكن ترميز هذه الدلائل،وتشّكل متواليتها على النحو التالي:

(السماوات والأرض) (الإنسان المتجسد في الضمير "كم" أو الناس) (النعم) (البّر والبحر)(الطيّبات) (السمع والبصر).

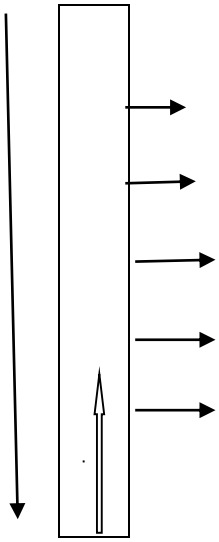

رزقه من الطيبات والنعم

ذّلله في البّر والبحر

سخّر له ما في السماوات والأرض

خلق له السمع والبصر

الإنسان

رتبية الدلائل الأرضية

ومن ثمّ يبرز في دلائل التكوين اللغوي والوجودي ومراتب هذه الدلائل الأرضية:

أولا:علاقة الاحتواء:إذ بدأ عمر في خطبته بتذكير الإنسان بخلقه ونعم الله عليه إذ خلقه وزّوّده بأجهزة كثيرة كالسمع والبصر ثمّ سخّر له ما في السماوات وما في الأرض من حيوان ونبات وذلّلها له في البحر والبّر إذ خلق له دوابّ تحمله كالخيل والبغال والحمير وأرشده إلى صنع السفن كي يحمله في البحر كمّا سخّر له حيوانات البحر ووضع له في السماء بروجا ونجوما ليهتدي بها الإنسان في ظلمات البّر والبحر.

ثانيا-علاقات التنامي الترتيبي:

ونجد أيضا بين هذه الدلائل الوجودية،علاقات التوالد بينها أي ميلاد اللاحق من السابق،ونتيجة سببية منه.ومن ثمّ يأتي في السلّم الحجاجي لاحقا له في المبنى اللغوي وهو كذلك في حدث الوجود:

وجود الإنسان ← تكويده بنعمة البصر ← تسخيره في السماء والأرض ← ظهور نعم ← وتذليلها في البّر والبحر.

إذن:الإنسان(سبب) لوجود النعم(الطيبات والأرزاق ونعمة السمع والبصر) (سبب) لوجود البّر والبحر لينعم فيها ويتأمّل.

إذا الإنسان سبب في وجود هذه النعم الكثيرة التّي لا تعدّ و لا تحصى حتى ينعم بها ويتمتع .وبعد هذا التوالي النامي لمكوّنات البنية نجد استحضارا لنهاية الإنسان في أخر الخطبة وأنّ الدار الآخرة هي المعاد والمنقلب وهي المستقّر.

4-رابعا:علاقات التناسب:

إنّ مظهر التناسب له تأثير على المتلّقي،ومن مظاهره في بنية الحجاج لهذه الخطبة نذكر:

1-تناسب دلالات عناصر التركيب:

فحينما ذكر خلق الإنسان تبعته أحداث أخرى يحتاجها الإنسان في حياته اليومية أن سخّر له ما في السماوات وما في الأرض ما في السماء من ماء(الأمطار) وهذا الماء هو سبب في وجود النبات والخيرات والأرض سبب لعيش الإنسان براحة واستقرار مع المخلوقات الأخرى ،حيث أسبغ في هذه الأرض النعم الظاهرة والباطنة وهي من احتياجات الإنسان اليومية،وضروريات الحياة التي لا يمكن الاستغناء عنها،وحملهم في البّر والبحر ليتّسع له المكان وينعم في خيرات الله ونعيمه.

ونلحظ قوة المدلول الزمني لصيغ الفعل المتوالية في بدايات الخطبة ودقة مناسبتها،إذ تفيد هذه الصيغ الحدث واستمراره،ومن ثمّ تجسّد صيغ الزمن الصرفية حقائق الزمن وتوالي أحداثه الوجودية،وكأننّا أمام متواليات الأحداث،وتوالد بعضها من بعض في واقع الحياة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

المستوى الخامس:في حركة النص وأبعاد بنيته الكلّية:

الموضوع الأوّل :في الثنائيات:

1- ثنائية المظهروالمضمَر:

من استدلالات الحجاج العينية،دلائل الموجودات الكونية التي أشارت إلى كثير من الجمل في نص الخطبة:وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض"و"أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم في البّر والبحر"

ذكرت هذه الموجودات الظاهرة ولمشاهدة الملموسة بحواس الإنسان،لتكشف جوانب الدّقة لهذا الكون وإحكامه وتبيّن فضل الله في توفير عوامل البقاء في الأرض والحياة فيها.

ومن استدلالات **الحجاج المظهر** بنية الدلائل الوجودية**"سخّرلكم ما في السماوات وما في الأرض"**،نحن نعلم الظاهر من السماوات والأرض نعلم الحواس الظاهرة في الإنسان السمع والبصر،ونعلم أنّ الله حمل الإنسان في البّر والبحر،ولكن في الحقائق المضمرة لا نعلم ما تتضمنه هذه الحقائق و الوجودات السابقة، لأنّها تحوي على الكثير ممّا خلق الله من أنواع شتى لا يمكن حصرها ولا عدّها لذلك هناك الظاهر الذّي هو على مرأى الإنسان أمّا المضمر وهو الشيء الخفي الذّي لا نعرفه ولا نعلمه إلاّ الله.

لأنّ السماء والأرض والبّر والبحر تتسّم بالشمول والاتساع والعمق لذلك لا يمكن حصر ما تتضمن وما تحويه هذه الموجودات.

2-**ثنائيات الحوار:**

إنّ خطبة عمر بن الخطاب ،خطبة موّجهة إلى فئة من الناس وذلك في عصره(رضي الله عنه) وبما أنّها خطبته فالخطبة تحتوي على عناصر تواصلية:الخطيب،السامع،وخطبته(رسالة موّجهة إلى فئة خاصة أو عامة)

ومن ثمّ نجد المُخاطِب: وهو عمر بن الخطاب وهو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب الرسول(صلى الله عليه وسلّم) وأحد أشهر القادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم تأثيرا ونفوذا[36] .مخاطَب:وهو فئة المسلمين الذّين خاطبهم عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) للتأثير فيهم وتذكيرهم بالشكر والثناء.

ويتسّع هذا الخطاب لعمر(رضي الله عنه) بل يتسّع للإنسان بصفته الجمعية ...أي الناس جميعا لا شخصا بعينه والخطاب(الرسالة):وهو خطاب ورد فيع الكثير من الإرشادات والذكر لشكر الله على نعمه وتذكيره بها، وإيجاب الحوار من طرف واحد،أمّا الآخر فليس له حضور مباشر في الطرف الآخر،ولكنّ الرسالة واضحة أنّها موّجهة إلى الإنسان بشكل خاص وإلى المسلمين المخاطبين آنذاك.

ثالثا:ثنائية البناء و الهدم :

ويبرز من السياق النصي حركة الحدث وتناميه إيجابا وسلبا،أو بناءا وهدما،إذن نجد في نص الخطبة،أنّ الإنسان خُلق وسخّر له الله كلّ ما في السماوات والأرض وحملهم في البّر والبحر وأسبغ عليهم النعم لكي يعيشوا معيشة هنيئة،وينعم بها

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الإنسان في دنياه ولكن وبعد كلّ هذه الأحداث سوف يأتي حين من الدّهر ويرجع إلى أصله ومآله وهي الدار الآخرة،فبعد كلّ هذا البناء والخلق والنعم ،وهذا التكوين والتنامي،والتفاعل في أشياء الوجود،تقابله حركة سلبية "وهدم"للأحداث وتلاشي هذه الموجودات،وذهابها ،فيقول عمر:"فلو كان هذا الذّي إبتلاكم به، لم يكن معه حظّ في دنياكم،غير أنّه ثقة لكم في آخرتكم،التّي إليها المعاد والمنقلب".فلقد كانت الحركة إيجابية بلغت أوجّ حيويتها وكمالها ويقابلها هنا حركة "هدم"بمعنى كلّ ذلك الخلق والبناء والموجودات،سوف تضمحّل ويعود الخلق من جديد إلى الله وإلى دار المستقر، الدّار الآخرة.

ومن ثمّ نتأكد من هاتين الثنائيتين الدلائل الآتية:

أوّلا:زمنية الموجودات في هذه الحياة،وعدم ثبوتها على كينونة واحدة.

ثانيا:إنّ فكرة (الإيجاد للحياة وتدبيرها) جوهرية في بنية الأداء اللغوي لنص الخطبة ،ومن ثمّ ناسب أن يأخذ هذا المشهد مساحة أكبر وتفصيلا أكثر،لأنّه هو محل الاحتجاج والاستدلال.

ثالثا:إنّ التناسق بين أشياء الوجود وتكاملها آية من آيات الله،و دلالة على القدرة النافذة في هذا الوجود.

رابعا:تنبيه المخاطب إلى القوّة الفاعلة والمتحكّمة لإيجاد هذا الكون وهذه الموجودات،باستحضارها في بنية الفعل المبني للمعلوم (خلقكم،يجعل،جعل،حملكم،أسبغ،رزقكم) أمّا في سياق الهدم فكان مقاصد السياق ذهاب هذه الأشياء والموجودات سواء حمدوا الله عليها أم لا فمآلهم العودة إلى الدّار الآخرة فهي المنقلب والمعاد.

الموضوع الثاني:في التحوّلات:

1-التحوّل في السرد والترتيب:

مراعاة لحال المخاطبين النفسية والفكرية،يرجّء السياق التخاطبي معرفة من أوجد هذه الموجودات والنعم ووجود الإنسان في حدّ ذاته،ثمّ يعدل إلى ما هو واقع بين أيديهم وما حولهم من الأشياء والنعم،وفي ذوات أنفسهم،وما في الكون من أمر عظيم"**خلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئا،...وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض،وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة،وحملكم في البّر والبحر،ورزقكم من الطيّبات لعلّكم تشكرون،ثمّ جعل لكم سمعا وبصرا**"

إذ حثّهم على التفكّر في حقائق العين،لتأكيد حقائق الغيب،ولهذا الاستدلال المدرك بالحواس أثره في خطابه للعقل والنفس،وبهذا فهو اقترب من القصد بإيجاد دليل القصد.

2- التتابع في الجرس الصوتي:

يقول عمر في خطبته:" **فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين،وذّكر الذاكرين،واجتهاد المجتهدين،مع هذه النعم التي لا يحصى عددها،ولا يقدر قدرها،ولا يستطاع أداء حقها**".

فلقد عدل جرس صوت الفاصلة في تتابع الجمل إذ نجد الحضور لامتدادات جرس صوت الفواصل اللغوي، التي توقظ الحسّ وتشّد النفس،وهذا الإطلاق الصوتي لجرس الفاصلة يناسب عرض الحجج وتقدّم الدلائل.

خاتمـــة:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

إنّ خطاب عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) موّجه بشكل مباشر إلى الناس عامة أي إنسان الماضي وإنسان الحاضر والمستقبل، فهو خطاب يتسّع للعالم كلّه،فهو خطاب مفاده التأمّل والتدبّر في هذه المخلوقات والموجودات،والنعم وبالتالي شكر الله عليها وعلى النعم ،لأنّ جزاء الشكر على النعم والحمد والثناء جنات الخلد والنعم أكثر في الدنيا،لذلك فإنّ مقصد خطاب عمر،هو "الإقناع" والتأثير في الناس،ولذلك نجد في نص الخطبة العديد من آليات البيان وأساليبه،كترتيب عناصر التكوين اللغوي،وعلاقات الاحتواء بين الإنسان والموجودات.

إنّ النظر في آليات الحجاج ومآلاتها الفكرية والواقعية،يجعلنا نؤكّد حقائق وأفكارا عدّة منها:

إنّ التعادل هو قانون الوجود،وأشياؤه وهو ضرورة لبقاء النعم،فالإنسان أنعم عليه الله بالرزق والخيرات،ولذا وجب عليه شكره،فكلّما شكره وأثنى عليه زاد نماء هذه النعم وعدم زوالها وانتقالها.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

سياقات اللغة والدراسات البينية
Contexts, Language and Interdisciplinary Studies
المجلد الثانى العدد الخامس ابريل 2017

الهوامش:

1-ابن منظور:لسان العرب:تحقيق :عبد السلام محمد هارون,دار صادر,بيروت,مج2,ط1, 1997م, مادة (حجج).

2-مجمع اللغة العربية,المعجم الوسيط، ج1،مطابع المعارف،مصر،ط2، 1393ه/1972م،مادة (حجّ)،ص156.

3- محمد إسماعيل إبراهيم:معجم الألفاظ والأعلام القرآنية،دب،ط2، 1968م،(مادة حجج)،ص123.

4-عبد القاهر الجرجاني:التعريفات،تحقيق :إبراهيم الإبياري،دار الريان للتراث،(د.ت)،ص482.

5-ducrot(o) et anscombre(j.c): L'argumentation dans la langue,(éd)mardagar,1997 ,p8.

6- عبد الله صولة:الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية,كلية الآداب والفنون جامعة منوبة,تونس 2001,ص37,نقلا عن M.meyer,logique,langage et argumentation,p11.

7- ينظر: عبد الله صولة:الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية,كلية الآداب والفنون جامعة منوبة,تونس 2001,ص37.

8- خليفة بولفعة:إشراف:محمد قريبيز:إستراتيجية الخطاب الشعري عند أبي الطيّب المتنبي،مقاربة تداولية(رسالة ماجستير) كلية الحقوق والعلوم الاجتماعية،قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة عمار ثليجي،الأغواط،الجزائر،2008،ص196.

9- محمد عبد السميع جاد،عبد الله عبد الحي محمد،محمد طلعت أبو صير،محمد رجب الشتيوي،مصطفى أحمد أبو سمك:محاضرات في علم الخطابة النظرية والعملية،دار الكتبwww.dar-alkotob.com ،(د ط)،(د ب)،ص7.

10- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا:معجم مقاييس اللغة،تح:عبد السلام محمد هارون،ج2،دار الفكر،(د ط)،(د ب)،1399ه/1979م،ص198.

11- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي:مختار الصحّاح،دائرة المعاجم،(د ط)،لبنان/بيروت،1976م،ص76.

12- أحمد مختار عمر:معجم اللغة العربية المعاصرة،ج1،عالم الكتب،ط1،القاهرة،1429ه/2008م،ص660.

13- أبي الحسن علي بن الحسن الهنائي:المنجد في اللغة،تح:أحمد مختار عمر،ضاحي عبد الباقي،عالم الكتب،ط2،القاهرة،ص193.

14- مجد الدين محمد بن يعقوب (الفيروز آبادي):مرجع سابق،ص81.

15-أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا:مرجع سابق،ص 199.

16-ينظر:عبد الجليل عبده شلبي:الخطابة وإعداد الخطيب،دار الشروق،ط1،(د ب)،1401ه-1981م،ص13.

* هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا،عالم وطبيب،مسلم من بخارى،اشتهر بالطبّ والفلسفة واشتغل بهما،ولد سنة370ه(980م)،وتوفيفي همدان سنة 427ه(1037م).

17- محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها،تاريخها في أزهر عصورها عند العرب،مطبعة العلوم بشارع الخليج،ط1،(د ب)،1353ه-1934م،ص12.

18- **تستصفون**:استصفى الشيء:أخذ منه صفوه.

19- رفاغة:رفغ الشيء ككرم رفاغة:اتسّع،والرفاغة والرفاغية:سعة العيش والخصب والسعة.

20- فَبَلْهَ:اسم فعل بمعنى دع واترك،فما بعدها منصوب،ومصدر بمعنى الترك،فما بعدها مجرور بالإضافة،واسم مرادف لكيف فما بعدها مرفوع بالابتداء.

21-أحمد زكي صفوت:جمهرة خطب العرب ،ج1،العصر الجاهلي،عصر صدر الإسلام، ط1، 1923م، ص (85-84-83).

22-إيمان درنوني:الحجاج في النص القرآني،رسالة ماجستير،جامعة الحاج لخضر،كلية الآداب،قسم اللغة العربية، الجزائر، 2013م، ص63.

23-سورة القصص:آية/85.

24- سورة الشعراء:آية/227.

25-محمد العيد:النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة لكتاب الجامعة،القاهرة،ط1، 2005م،ص ص232/231.

26- سورة النحل:آية/18.

27-سورة البقرة:آية/172.

28-عبد الجليل الشعراوي:الحجاج في الخطابة النبوية،ص151،نقلا عن:.ch.perlman,traité de l'argumentation,op.cit,p177

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

29-الإيضاح في علوم البلاغة:لجنة من الأزهر،إشراف محمد محي الدين،القاهرة،ص134.

30-الحسن بن قاسم المرادي:الجني الداني في حروف المعاني،تح،فخر الدين قباوة،ومحمد نديم فاصل،(د ط ب)،ص591.

31-ينظر:أبو بكر العزاوي:اللغة والحجاج،www.booksall.netمنتديات سور الأزبكية،الدار البيضاء،ط1، 2006.

32- ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري:استراتيجيات الخطاب،مقاربة لغوية تداولية،دار الكتاب الجديد المتحدة،بنغازي-ليبيا،ط1، 2004م،ص494.

33-طه عبد الرحمان:مراتب الحجاج وقياس التمثيل،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة سيدي محمد-بن عبد الله فاس،ص8.

34-أبي علي الحسن ابن رشيق، القيرواني، الأزدي: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، ج1، دار الجيل، سوريا، ط140،5 1هـ، 1981م، ص 5.

35-محمد العمري:الحجاج مبحث بلاغي،فما البلاغة؟، منشور ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته،دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،تحرير: حافظ إسماعيل علوي:ج1،عالم الكتب الحديث،إربد،الأردن،ط1، 1431هـ/2010م،ص18.

36-أحمد، نذير، *الإسلام في التاريخ العالمي: منذ وفاة النبي محمد ﷺ وحتى نشوب الحرب العالمية الأولى*، المعهد الأمريكي للثقافة والتاريخ الإسلامي، 2001، ص 34